

دورية نصف سنوية ، تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين

آل خليفة ، عبد الله بن خالد و د. علي أبا حسين « دراسة في دولة العيونيين » ، العدد الأول ، السنة الأولى ، رمضان ١٤٠٢ هـ / يوليو ١٩٨٢ ، ص ٢١-٣٥

دراسة في دولة العيونيين

العيونيون يجهزون

الأمير عبدالله بن علي يدفع بدهائه

الشاعر ابن مقرب يسجل

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

والدكتور علي أبا حسين

استطاع أبو البهلول من جزيرة أوال أن يضع بداية النهاية لدولة القرامطة التى دوخت جيوش الخلافة ولكن اذا كان أبو البهلول قد وضع البداية فان نهاية القرامطة كانت على يد دولة العيونيين ، فقد أجهزوا على القرامطة فى الاحساء ودفعوا بهذه الحركة من أرض الواقع السياسى فى المنطقة الى زوايا التاريخ . وبعد القرامطة قامت دولة العيونيين . وفى الاحساء والقطيف والبحرين وابتداء من عام ٤٦٧هـ ١٠٧٤م وحتى ٦٣٦هـ ١٢٣٨م شهد تاريخ المنطقة احدى الدول الكبيرة التى استمرت مائة وتسعة وستين عاما .

عَلى القرامطة في الأحسَـــاء

جَيش العجم إلى رمَال الرّبع الخـــالي

تاريخ العيونيّـين في قصَائده

سـل القـرامـط من شـظى جمـاجمهم
فلقـا وغـادرهم بـعـد العـلا خـدمـا
من بعـد أن جـل في البحـرين شـانهم
وأرجفـوا الشـام بـالغـارات والحـرما

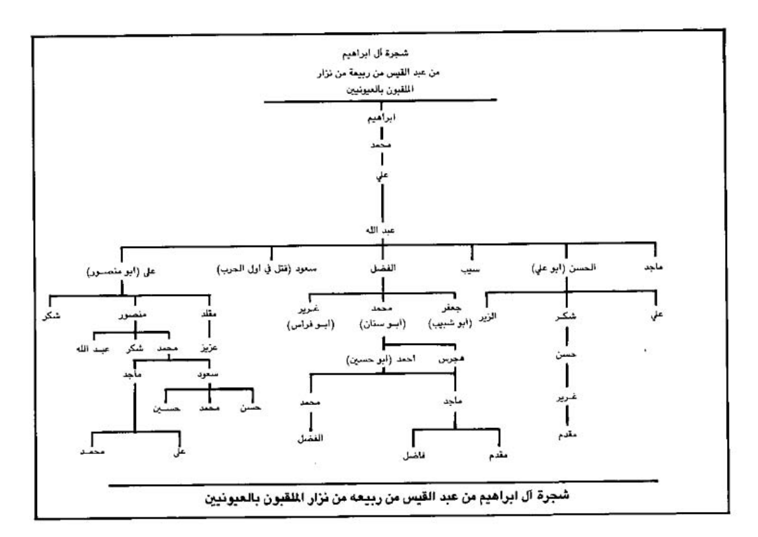
يجد الباحث فى تاريخ الدولة العيونية صـعـوبـة فى البحث لقلة المـصـادر واضطراب الأخبار المدونة فيهـا وأهم مصدر لتاريـخ هذه الحقبـة الزمنية من تاريخ اقليم البحرين هو ديوان الشاعـر العيـونى (على بن المقرب) والشـرح الذى عـلى هـامشـه ومصـادر أخـرى مقتضبـة ومتضـاربـة كتبت فى القـرن العاشر الهجرى وما بعده لذلك اعتمدنا على الشعر فى تصحيح أى التباس بـين المصادر التى بين أيدينا لأن الشاعر أحد أفـراد هذه العـائلة وعـاصر كثيـرا من أحـداثها وكـان قريب العهـد والروايـة للأحداث التى سبقت الفترة التى عاش فيها ، فهو وان لم يكن قد عاصر بـداية هذه الدولة فقد عاصر نهايتهـا حيث ان الدولة العـيـونـيـة بـدأت عـام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م وانـتـهـت عـام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م أى ان مـدة حكمـهم كانت مائة وتسعة وستين سنة .

تـأسست دولة العيـونيـين فى اقليم البحـرين عـلى يـد (عبـدالله بن عـلى بن محمـد بن ابـراهـيم العيـونى)

والعيونيون هم فخذ من قبيلة عبد القيس يعرفون بآل ابراهيم نسبة لجدهم يسكنون الاحساء في واحة تعرف بالعيون ولا تزال تحمل هذا الاسم الى وقتنا الحاضر فاشتهروا بالعيونيين نسبة الى هذا المكان وبدأت حركة عبدالله بن علي ضد القرامطة الموجودين في الاحساء بعد أن تقلص نفوذهم من سائر مناطق اقليم البحرين وعمان وتقوقعوا في الاحساء حيث حصونهم المنيعة ومركز قوتهم. وكان للعيونيين نفوذ قوي في الاحساء يدل على ذلك ان جيش القرامطة الذي هاجم أوال (البحرين) بعد ثورة (أبي البهلول) فيها كان بقيادة أحد رجال العيونيين وهو (بشر بن مفلح العيوني) وقد انهزم هذا الجيش ، وكان عبدالله بن علي رجلا طموحا جريئا فقرر مقاومة القرامطة والقضاء عليهم في الاحساء بعد أن تبين له ضعفهم وفساد ادارتهم ، فكتب الى الخليفة العباسي أبي جعفر القائم بأمر الله . وجلال الدولة ملكشاه السلجوقي [1] ووزيره أبي علي الحسن بن علي بن اسحق الملقب بنظام الملك [2] يطلب المساعدة على حرب القرامطة وكانت الدولة السلجوقية في أيام ازدهارها وقوتها يدير شئونها ذلك الوزير الصالح المشهور بسداد الرأي (نظام الملك) وقد قرر سابقا القضاء على القرامطة عندما اتصل به رسل من ابن العياش يطلب المساعدة على حرب القرامطة في الاحساء والقضاء عليهم فأرسل له قوة بقيادة أحد حجاب السلطان ملكشاه السلجوقي ويدعى (كجكينا) . وفي طريق هذا الجيش الى القطيف اعترضته بعض القبائل ونشب بينهم وبينه قتال كان النصر فيه لجيشه ولما وصل الى القطيف ارتاب فيه ابن العياش ورفض مقابلته وقال لرسلة الذين توسطوا في جلب هذا الجيش أنا لا أستطيع مقابلة هذا القائد (كجكينا) وهو بهذه القوة خوفا من غدره بي وأنا طلبت أن تكون المساعدة محدودة بأربعمائة رجل أو حول ذلك وتشترك مع جيشي وتحت قيادتي . أما أن يأتيني جيش بهذا العدد وتحت قيادة شخص غيري فلا ، وبدأت الحرب بين ابن العياش وجيش كجكينا الذي كان أكثره يتألف من القبائل العربية فاستطاع ابن العياش أن يستميل بعض القبائل الى جانبه فانهزم جيش كجكينا ورجع كجكينا وبقية أصحابه الى البصرة في أسوأ حالة .

(١) السلطان جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه ابن السلطان الب ارسلان تولى السلطة بعد قتل أبيه عام ٤٦٥هـ .

(٢) نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان الب أرسلان ثم ابنه السلطان ملكشاه السلجوقي المشهور بحسن السيرة والكفاءة .



شجرة آل ابراهيم من عبد القيس من ربيعه من نزار الملقبون بالعيونيين

وعندما وصلت رسل (عبدالله بن على) الى بغداد فى طلب المساعدة على حرب القرامطة أمدوه بجيش قوامه سبعة آلاف بقيادة (اكسك سلار) [٣] التركمانى وتوجه القائد بجيشه الى الاحساء ومر بالبصرة ثم وصل القطيف وقرر احتلالها من ابن العياش أولا ليثأر لكجكينا وجيشه وثانيا لحفظ خطوط مواصلاته فهاجم القطيف وهزم ابن العياش الذى فر الى جزيرة (أوال) واحتل (اكسك سلار) القطيف ونهب كل ما لابن العياش فيها من أموال وعين فيها من يحفظها ثم اتجه الى الاحساء واشترك مع جيش عبدالله بن على فى محاصرة الاحساء . ولما طال الحصار على القرامطة ونقصت عندهم المؤن أرسلوا الى اكسك سلار يطلبون الصلح مقابل دفع أموال طائلة اليه فطمع التركمانى فى المال وأجابهم الى ذلك فطلبوا منه هدنة شهر ويفك عنهم الحصار فتم الصلح بينهم على ذلك وسلمت له الرهائن وفك الحصار .

لم يضيع القرامطة الوقت بل دأبوا يجمعون الأطعمة وكل ما يعينهم على مواصلة القتال وتحمل الحصار فلما أتموا استعدادهم نقضوا الصلح ، وتحصنوا وراء أسوارهم وناوشوه القتال فغضب اكسك سلار وأمر بقتل الرهائن وشدد عليهم الحصار ، وطالت مدة الحصار وأقبل الصيف بحرارته فسئم اكسك سلار وجنده من شدة الحر فى الظهيرة ولا ننسى البعوض والحمى (الملاريا) فالاحساء كثيرة المياه والمستنقعات الراكدة ، وقلة الأطعمة واقتصارها على التمر والسمك المجفف واللحم وحليب الابل وذلك لبعد مواصلاته فأقرب بلد له هو القطيف والقافلة من الابل تحتاج الى مسيرة حوالى أربعة أيام لقطع المسافة بين القطيف والاحساء (فأوال) البحرين فى يد (ابن عياش) وهو فى حرب معهم بعد طرده من القطيف أما مواصلاته مع البصرة فتحتاج الى مدة طويلة ثم ان المزارع والنخيل التى فى الاحساء خارج الأسوار قد هجرها أهلها وامتدت اليها يد الجند المحاصرين بالتخريب .

أما القرامطة المحاصرون فكان الوضع بالنسبة لهم جيدا فالصيف قد أقبل والنخيل داخل الأسوار سيبدأ انتاجه والمياه وفيرة وحصونهم قوية وهم يعيشون فى بلدهم الذى اعتادوا على مناخه .

شكا اكسك سلار لعبدالله بن على ما يختلج فى نفسه من جراء ذلك فقال له اترك معى مائتى جندى من جيشك وعد الى بلادك ونحن سنكفيك أمر القضاء على القرامطة فوافق وأمر أخاه (البكوش) بالبقاء مع مائتى جندى وعاد بالباقين الى

---

(٣) القائد اكسك سلار ويدعى (أرتق) التركمانى المتوفى ٤٨٤هـ له ذكر فى التاريخ انظر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

العراق وعندما تم انسحاب اكسك سلار بمن معه من الجند هاجم ابن عياش القطيف واسترجعها من يد الولاة الذين عينهم اكسك سلار عليها بعد رحيله .

وطمع القرامطة المحاصرون والقبائل البدوية فى عبدالله بن على واتفقوا على مهاجمته فعينوا لهم موعدا وخرج القرامطة من حصونهم واجتمعت عليهم جموع بنى عامر واشتبكوا فى معركة ضارية تسمى بمعركة (الرحلين) نسبة الى المكان المعروف (بالرحلين)(٤) تمكن فيها عبدالله بن على وجنده من هزيمتهم واحتلال حصونهم واستسلم القرامطة لعبدالله بن على العيونى وانتهى بذلك عهدهم .

معركة ناظرة

بعد أن استرجع ابن العياش القطيف قرر مهاجمة عبدالله بن على فى الاحساء قبل أن يستفحل أمره فزحف بجيشه من القطيف الى الاحساء ووصل الى مكان يقال له ناظره (قريبا من قرية المقدام) (٥) وبرز له عبدالله بن على بجيشه ودارت بين الجيشين معركة انتهت بهزيمة ابن العياش . وطارده عبدالله بن على الى القطيف وتمكن من احتلالها وفر زكريا بن يحيى بن العياش الى أوال فأمر عبدالله بن على قوة من جيشه بقيادة ابنه الأكبر الفضل بن عبدالله بعد أن أعد لهم من السفن ما يكفى لنقلهم الى أوال بمهاجة ابن العياش فيها واحتلالها وعبرت القوة الى أوال ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها جيش العيونيين وقتل العكروت فى هذه المعركة وكان وزيرا لابن العياش ويعتمد عليه اعتمادا كبيرا وكان ذا مكر ودهاء أما ابن العياش ففر الى العقير ومنها تمكن من الاتصال ببعض القبائل البدوية الموالية له وجمع جيشا منهم هاجم به القطيف فالتقى به عبدالله بن على بجيشه ودارت بينهم معركة قتل فيها ابن العياش وانهزم جيشه وفى ذلك يقول الشاعر ابن المقرب :

اتى مغيرا فوافا جو (ناظره)
فعاين الموت منا دون ما زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى
حبل السلامة الا السوط والقدما
فانصاع نحو أوال يبتغى عصما
اذ لم يجد فى نواحى الخط معتصما
فاقحم البحر منا خلفه ملك
ما زال مذ كان للاهوال مقتحما
فحاز ملك (أوال) بعد ما ترك ال
عكروت بالسيف للبوغاء ملتزما
وصار ملك ابن عياش وملك أبى الب
هلول مع ملكنا عقدا لنا نظما

---

(٤) الرحلين موضع بين بلد العمران وبحيرة الاصفر فى الاحساء . انظر تحفة المستفيد ١ / ١٠٠ .

(٥) المقدام : قرية معروفة الى الآن فى الاحساء . تحفة المستفيد ١ / ١٠٠ .

غزوة بنى عامر

بعد أن تمت لعبدالله بن على السيطرة على اطراف البحرين الثلاثة الأحساءوالقطيف وأوال رجع الى الأحساء فقطع العوائد التى كانت لشيوخ بنى عامر ايام القرامطة وكانت تدفع لهم لكف اذاهم عندما ضعف امر القرامطة فطالبوا بها فرفض أن يدفعها لهم فاجمعوا على حربه واجتمعت عليهم جموع كثيرة من البادية واقبلوا على الأحساء يسوقون امامهم الابل فلما برز لهم جيش عبدالله بن على ساقوا عليه الابل وهذه خطة حربية معروفة فى جزيرة العرب وقد استعملت مرارا كثيرة فى الحروب وأتت بنتائج حاسمة فى كسب المعارك ولكنها فى هذه الوقعة انقلبت على اصحابها حيث استعد القائد المحنك عبدالله بن على لهذه الخطة فأرجف من ناحيته بالطبول والزعيق والأبواق فارتدت الابل على اصحابها وانعكست الآية فربح عبدالله بن على المعركة وشتت شمل اعدائه وهكذا استتب له الأمر فى اقليم البحرين وعين ابنه (الفضل) اميرا على القطيف ونواحيها وابنه (على) اميرا على جزيرة اوال .

الخلاف بين السلاجقة وبين عبدالله بن على العيونى

تعرضت العلاقات بين عبدالله بن على وبين السلاجقة لخلاف كان سببه ان الوفاق لم يدم طويلا بين عبدالله بن على و (البكوش) أخو (اكسك سلار) الذى بقى مع عبدالله بن على فى مائتى جندى بعد أن انسحب أخوه فدب التنافس بينهما على الحكم وتطور الى الحد الذى حدا بالأمير عبدالله بن على أن يقبض على (البكوش) ويسجنه ثم أمر بقتله فقتل وقد ازعج هذا الخبر حكومة السلاجقة فوجهوا له جيشا بقيادة (ركن الدولة) وهذا لقبه أما اسمه فلم يتيسر لنا معرفته . حيث أن مصدر هذه الحادثة هو ديوان الشاعر ابن مقرب فى قصيدته الميمية التى مطلعها :

الم يأن ان تنسى عسى ولعلما
وتترك ليتا للمعنى وربما

الى ان يقول :

ونحن حميناها الاعاجم بعدما
اقامت تروم الملك حولا مجرما (*)
ضربنا وجوه الشركسية دونها
واقفاءها بالسيف حتى تثلما
وقد عززتهم من نزار ويعرب
لشنئانكم قوم وقوم تبرما
فعذنا ببيض ذكرتهم حدودها
بما كان من اخبار كسرى ورستما
فراحوا وراح الركن فيهم كانه
صريع عقار بات منها مجشما

وفى الميمية الأخرى التى مطلعها : قم فأشدد العيس للترحال معتزما يقول الشاعر :

والشركسية اذ جاءت تطالبنا
دم البقوش وفينا تقسم القسما
شيئان عندهم كانت رعيتنا
عونا علينا ضلالا منهم وعما

* المجرم : الكامل .

فـفـرج الله والبـيض الحـداد لنـا
وعـزة لم تـكـن يـوم لنـا غـشـمـا
وأصبحـت حـاسـدونـا من قبـائلنـا
لحـمـا اقـام له جـزاره وضـمـا
لكن عفـونـا وكـان العـفـو عـادتنـا
ولم نـؤاخـذ اخـا جـرم بمـا اجترمـا

ومن هذه الأبيات الشعرية نجد أن هذه القوة لما أتت الى الأحساء تطالب بدماء (البكـوش) واصحـابـه الذين قتلهم عبدالله بن علي انضمت اليهم أكثر قبائل الأحساء وتحصن عبدالله بن علي مع من كان معه من أهـل بيته ومـؤيديـه وطال الحصـار لمدة سنـة فـاضـطر عبـدالله بن عـلي ان ينـزل لهم من حصـونـه ويستميت هو ومؤيدوه في قتال الشراكسة ومن معهم ومن الله عليه بالنصر عليهم وغادروا الأحساء مهزومين . اما الذين ساعدوهم من قبائل العرب فقد عفا عنهم ولم يؤاخذهم بما بدر منهم .

وهنـاك رواية أخـرى كتبها شـارح ديوان ابن مقرب عنـدما شـرح البيتين التاليين :

مـن ذا يقـاس بـعـبـدالله يـوم وغـى
في بـاسـه ويـبـارى جـوده كـرمـا
هـذا الذى جـاد بـالنفس الـخـطيـرة في
عـز العشيـرة حتى استـرحـل العجمـا

يقول ان الأعاجم اقـاموا بـالأحساء سنة كاملة واعانهم أكثر أهـل البلد من قحطان وغيرهم من نزار فلما طالت عليهم المدة وتيقنوا انهم لا يقدرون على النصر ارسلوا الى الأمير عبدالله بن علي العيوني ان يقبضهم قاتل صاحبهم وهو رجل من كبـرائهم قتله الأمير (عـلي بن عبدالله العيـوني) فبذل لهم الأمـير الديـة فلم يقبلوا الا القـود فقـال عـلي بن الأمـير عبـدالله بن علي العيـوني اني اقـودهم نفسي سلامة لكم ولم يخبر أباه لألا يقبض عليـه فـأشتلت الأعـاجم من الأحسـاء بعلي بن الأمير عبد الله بن علي العيوني حتى بلغوا كرمان واقاموه بها مدة فبعث الى سلطانهم يسأله جارية تخدمه فبعث اليه بجارية حسناء ذات جمال فغشيها فحملت منـه وولدت غـلامـا فسمـاه (جسـاسـا) ، ثم أن الأمـير عبـدالله بن علي بعث الى ولده علي رجلا من أهل الأحساء من بني امية من ذريـة عثمان بن عفان رضي الله عنه يقال له عزيز بن محفوظ ليحتال في اخراج (علي) من ديار العجم وبعث معه مالا كثيـرا فسار ذلك الرجل حتى بلغ كرمان فما زال يتوصل الى السجان حتى صار يهدي اليه ويتحفه من الجواهر وغيرها فظن السجان ان له غرضا وانه يريد بذلك التوصل الى غرضه فقال هل لك حاجة وتقضى ان شـاء الله فـأخبـره بخبـره واحتـال السجـان في اخراجه خفية فأخـرجه ليـلا ودفعه الى الأموي فأختفيا حتى خرجـا من اعمال كرمان وسارا حتى بلغا البحـرين وبقي ولده (جساس) في كرمان حتى مضت عليـه سنوات وبعث اليـه جـده الأمـير عبدالله بن علي العيوني فجيء به وظهرت منه شجاعة عظيمة وسلاحـة (السيف والدبوس) انتهى كلام شارح الديوان .

هذه الرواية تختلف عما ذكره الشاعر ابن مقـرب في شعره ونحن لا نستبعـد

الروايتين أى ان هناك مناوشات وحروبا بين الشراكسة والعيونيين واخيرا وبعد قتال وحصار دام سنة حتى ملوا من طول الاقامة بعيدا عن ديارهم ومن قسوة الحياة التى يعيشونها اثناء محاصرتهم للأمير عبدالله بن على وجنده فقرروا الرحيل على شرط أن يسلم لهم الأمير رهينة لتكون معهم فى رحلتهم ليأمنوا انسحابهم الى بلادهم وتردد الأمير فى ذلك ولكن ابنه (على) تطوع وقدم نفسه رهينة على شرط أن ينسحب الجيش ويرفع الحصار وهكذا تم الانسحاب ونحن لا نتصور ان عليا سلم نفسه ليقاد فى من قتل من الشراكسة ولو كان كذلك لقتل ولكنه سلم نفسه كرهينة واشترطوا له سلامته فلما وصلوا الى بلادهم ابقوه عندهم وحبسوه فخلصه والده حسبما ذكرته الرواية .

حادثة القارونى

تعرض الأمير (عبدالله بن على) مؤسس الدولة العيونية لمتاعب كثيرة فى السبع السنوات الأولى من حكمه واضطر الى خوض حروب عديدة منها ما ذكرناه سابقا ومنها أن شخصا من امراء العجم يلقب (بالقارونى) [٦] ولعله كان يعيش فى الأحواز بقرب نهر قارون حيث لم يبق ما يطلق عليه هذا الاسم الا النهر جهز حملة كبيرة وزحف لاحتلال البحرين وارسل امامه طليعة من جيشه بقيادة احد رجاله فلما قاربت الطليعة ممتلكات الأمير عبد الله بن على العيونى قرر ملاقاتها بالترحاب والاكرام ولما التحق بها الأمير وجيشه عاملهم نفس المعاملة فسأل الأمير القارونى الأمير العيونى عن عمان وما هو الطريق اليها فحسن له الأمير العيونى ذلك واخبره عن الثروة العظيمة فى عمان وسهل امر احتلالها فطلب منه ادلاء يدلونه على الطريق الى عمان فجهز له ادلاء من قبيلة (بنى خارجه) واوصاهم ان يأخذوه الى رمال الربع الخالى وأن ينسحبوا عنه ليلا ويتركوه هو وجيشه فى الصحراء وفعلا تم ذلك وهرب البدو والأدلاء عنه ليلا ومات هو وجيشه ولم يبق غير واحد كما تقول الرواية وصل الى الأحساء فى اسوأ حالة ويقول ابن مقرب فى ذلك :

وسل بقاروت هل فازت كتائبه
لما اتتنا وهل كنا لها غنما

---

(٦) واورد الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك قوله : « اما بلاد قارون فلا اعرف بقرب الاحساء بلادا بهذا الاسم ، والذى اعرفه ان قاروت بك بن داود اخو السلطان آلب ارسلان ،كان حاكما لكرمان وحكمها أولاده من بعده ، وهم الذين سجنوا ولد عبدالله بن على حتى سعى والده باطلاقه حسبما ذكره شارح الديوان .

ونحن نؤيد ما ذكره الشيخ يوسف لانه اقرب الى الصواب ، فالاصح قاروت فيصبح الشاهد وهو بيت شعر للشاعر ابن المقرب قوله :

وسل بقاروت هل فازت كتائبه : لما اتتنا وهل كنا لها غنما ..

فالرجل اسمه قاروت ، وان ما ذكر فى الديوان انما هو من اخطاء النساخ ، او بدلت التاء بالنون فى الطباعة فجاءت «قارون» بدل « قاروت » وهو الارجح .

دَفع أمير العيونيّين للشاعر كل الدّخل

فمات عاملُه من الإفراط في الكرم

عهد الأمير عبدالله بن على العيونى

امتد عهد الأمير (عبدالله بن على) ستين سنة من بداية حركته حتى وفاته استنادا على ما ذكره المؤرخون وبذلك تكون وفاته عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١م عن عمر يناهز المائة لأننا نجد ان عمره يناهز الأربعين عندما قام بحركته عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م حيث كان ابناه (الفضل) و(على) رجلين اشتركا معه فى حروبه ، وكان الأمير عبدالله بن على يتميز بكثير من الصفات الحميدة التى يتميز بها مؤسسو الدول من امثاله لذلك صمد هذا الرجل فى وجه الحوادث والمؤامرات المتلاحقة التى المت به فى بداية تأسيس دولته ولفترة دامت سبع سنوات متتالية ثم استقر له الأمر ومن اعماله الجليلة قضاؤه على بقايا القرامطة وعاداتهم السيئة كعادة (الماشوش) (٧) وغيرها وتوحيده لاقليم البحرين تحت راية دولته وتأمينه السبل واعادته للدين الاسلامى حرمته فشيدت المساجد التى هدمها القرامطة وأنشئت المدارس لعلوم الدين واللغة وكان ساعده الأيمن فى كل ذلك ابنه (الفضل) الذى ولاه القطيف والبحرين ، واتخذ الأمير عبدالله بن على العيونى الأحساء عاصمة لدولته .

وفى حوالى عام٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م فجع الأمير عبدالله بن على بقتل ابنه الفضل على يد خدمه فى جزيرة (تاروت) فحزن عليه حزنا بالغا وعين ابنه الشاب (أبا سنان محمد بن الفضل) واليا على القطيف والبحرين من قبله ، ويقول الشاعر ابن مقرب فى الفضل بن على :

وان تفتخر بالفضل فضل بن عبدل ... فيا بأبى اعراقه ومناسبه

همام حمى البحرين سبع ومثلها ... سنين وسارت فى الفياق مواكبه

ولم يرع من (ثاج) الى الرمل مصرم

---

(٧) الماشوش : وعادة الماشوش ان تجتمع القرامطة رجالا ونساء فى يوم معين من ايام السنة وياتون من الافعل ما ينافى الآداب والأخلاق . واورد الشيخ يوسف ان للدكتور جواد على بحثا فى مجلة الرسالة عن هذه العادة .

علی عهده الا استبیحت حلائبه
زمان یقول العامری لمن غدا
یحدثه عنه وذو الحمق غالبه
متی یستوی من (نار برد) محله
واخر سودی بعید مذاهبه
فلم یستتم القول حتی اذا به
یسایره والدهر جم عجائبه
فقال له الآن التقینا فأرعدت
فرائصه والجهل مر عواقبه [٨]

عهد الأمير ابى سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن على العيونى :

كان ابو سنان واليا على القطيف والبحرين بعد قتل والده الفضل وطوال مدة حياة جده عبدالله بن على العيونى ويتبين ان لأبى سنان منزلة رفيعة عند جده حيث قدمه على عميه (ابو منصور على) و(ابو على الحسن) وأوصى له بولاية العهد من بعده ولما مات عبدالله بن على حوالى عام٥٢٦هـ/١١٣١م تولى الامارة ابو سنان محمد بن الفضل وولى عمه ابو المنصور على الأحساء وكان ابو سنان مشهورا بالشجاعة والكرم الى حد الافراط والتبذير ، فقد ذكر ابن المقرب ذلك حين قال :

منا الذى من نداه مات عامله
غما واصبح فى الأموات مخترما [٩]

وقصة ذلك ان هذا العامل اتاه بأموال من جزيرة اوال فيها اللؤلؤ والذهب والفضة وكان فى مجلسه شاعر من أهل العراق يدعى الثعالبى فأمر الأمير عامله ان يدفع جميع الأموال التى جاء بها الى الشاعر فقال العامل هل تدرى كم هذا المال هذا المال كثير فيه لؤلؤة واحدة بألف دينار فقال ادفعه اليه فما اراه كثيرا ولو كان أكثر لزاد سرورنا باعطائه اياه فسقط العامل مغشيا عليه ومات غما .

وفى حوالىعام٥٤٣هـ/١١٤٨م بدأت الأمور تسوء بين الأمير أبى سنان وبين عميه أبى المنصور على بن عبدالله وأبى على الحسن بن عبدالله وسبب ذلك ان (غفيلة بن شبانة) رئيس قبيلةبنى عامر اراد ان ينزل فى وقت الصيف على القطيف فبعث اليه ابو سنان بألا ينزل على القطيف بل ينزل الأحساء لأنها أكبر وتحتمل قبيلته اما القطيف فلا تحتمل نزولهم عليها فأصر غفيلة ان ينزل القطيف فأنذره ابو سنان ان يرتحل فلم يفعل فهجم عليه ابو سنان بجيشه ليرغمه على الارتحال فدارت بين الطرفين

(٨) وقصة هذه الابيات ان الفضل قد حمى (السوده) وهى منطقة معروفة الى الآن بهذا الاسم و(الحمى) معروف فى جزيرة العرب على مر العصور ، فدخل هذا العامرى الحمى يرعى ابله فجاءه شخص وساله اما تخشى الفضل بدخولك الحمى قال ان الفضل بعيد متى يسكن فى (نار برد) وفى بعض النسخ وكربابار قرية فى جزيرة البحرين وانا فى (السوده) فقال له انا الفضل ولما عرف ذلك اسقط فى يده فعفى عنه وقال له لا تعد لمثلها .

ومن هذه الابيات نعلم ان الفضل تولى القطيف والبحرين (سبع ومثلها سنين) اى اربع عشرة سنة .

(٩) مخترما : المخترم المنقطع ، واخترمه الموت اقتطعه .

معركة انهزم فيها غفيلة حتى دخل جيش ابى سنــان وســط حـلة غفـيلة وأمــر أبو سنان بقطع أطناب بيته وأسقطه ولها جند ابى سنان فى النهب فعـطف عليهم غفيله بمن عـاد معه من افـراد قبيلتــه وانهـزم جنـد ابى سنـان وبقى هـو فى المعركة مع قلة من جنده فـطمعوا فيهم وهاجمهم بسيفه وقتل منهم عدة افـراد ويقال ان من جملتهم رجل شقة ابو سنان نصفين بضربة واحدة من سيفـه ولقب لذلك (بالشقاق) فتقهقروا عنه ورجـع الى البلد مع من بقى من اتباعه ولم يتبعه احد من بنى عامـر خشية منـه وارتحل غفيلة الى الأحساء ، وفى ذلك يقول ابن المقـرب فى مـدح حفيـده محـمـد بن احمد بن محمد ابى سنان قوله :

اليـك ابـن شقـاق الفـوارس مـدحــه
تـطاطا لهـا من حـاسـديـك الكـواهـل

اثرت هذه المعركة فى نفس ابى سنان وأتهم عميه بتدبيرها فجهز جيشا قـاده بنفســه الى الأحســاء فبـرز له عمـاه ابو المنصور عـلى بن عبدالله وابـو على الحسن بن عبدالله ودارت بين الجيشين معركة ضارية قتـل فيها (ابـو سنان) وأخـوه ابـو شبيب جعفـر بن الفضـل وانهزم الجيش عائدا الى القطيف بجثتى القتيلين ودفنـا فيها وقـد رثاه الشـاعر الثعالبى الذى اعطاه المال بقوله :

عـزيـز ان اعــاتـب فـيـك دهـرا
قـلـيـل هـمـه بـمـعـنـفـيـه
وان الق المـلوك ولسـت مـنـهـم
وان اطا الـتـراب وانـت فـيــه

والتفت الى قبر اخيه جعفر وقال :

اعـجـوبـة مـن عـجـب الدهـر
اطبـاق لوحـين عـلى بـحـر

لقد كانت هذه المعركة بدايـة انحلال وضعف دولة العيـونيين وانقسـامها الى قسمـين حيث سيطر ابـو منصور عـلى ابن عـلى العيونى عـلى الأحساء ، أمـا القـطيف واوال فبعـد ان عـاد الجيش المنهـزم بجثة أميـره ابى سنان بـايعوا اخـاه غـريـر بـن الفضـل الملقـب (ابو فراس) الذى يقـول فيه الشـاعر ابن المقرب :

مـنـا الذى جـاد ايـثـارا بـمـا مـلكـت
كـفـاه لا يـد يـجـزيـهـا ولا رحـمـا

وعلق شارح الديوان على هذا البيت بما يلى (يعنى بـذلك الأمير ابـا فراس غـرير بن الفضـل بن عبـدالله بن عـلى العيونى وكان من حديثه ان الثعالبى قد امتـدحه ذات يـوم بقصيدة فتقـدم الى صاحب خزائنه فأمره ان يدفع اليه جميع مفاتيحها وينتحى عنها فيترك له جميع ما فيها وكتب له فيها بالتصرف فى جميـع املاكه ، فقال الثعالبى بعض هذا غنى وسعة فقال الأمير خذه بارك الله لك فيه ولا تـراجعنـى فى شىء من ذلك فـقبـل الأرض بين يديه وقبل قدميه وقـال أنى أسـأل الأمير واطلبـه بالحـاضرين من هؤلاء الأكرمين تمام ما أطلب فقال ومـا طلبتك قال ان آخذ من هذا المال لى الف دينـار ويكفينى فلا زال بـه حتى أخـذ أربعة آلاف دينار وشكر له ودعا وخرج من عنــده) انتهى مــا أورده شــارح الديوان .

اوردنا ذلك للدلالة على ان غرير هو ابن الفضل الملقب (ابى فراس) حيث اختلف الرواة فيه فبعضهم يقول غرير بن محمد ابو سنان (المقتول) وبعضهم يقول غرير بن مقلد التراكى ونحن نرى انه غرير بن الفضل وهو أخ لأبى سنان وليس ولده .

بعد ان استقر الأمر (لغرير بن الفضل) جهز وحشد جيشا كبيرا قاده بنفسه على الأحساء لأخذ الثأر وهاجمها فى السنة الثانية ٥٤٥هـ/١١٥٠م تقريبا ودارت بينه وبين جيش عمه ابى منصور معركة قتل فيها ابو منصور وسميت هذه المعركة معركة (السليمات) نسبة الى شجرة السلم وقد قتل من أهل الأحساء فى هذه المعركة ثمانون رجلا (والأسرى خمسمائة وعشرون رجلا) وعاد غرير بجيشه منتصرا الى القطيف وللدلالة على هذه الوقعة نعود لرواية شارح ديوان ابن المقرب اذ يقول (ان أهل الأحساء جرت عليهم شدة عظيمة من الحروب وغلاء الأسعار فى سنة معروفة (بسنة السليمات) جرت فيها وقعة سميت وقعة السليمات لشجر سلم نابت فى تلك الأرض لأن أهل البادية خربوا فيها أى فى الأحساء فى تلك السنة ثمار النخل والزروع والحاشد غرير نزل بأهل القطيف والأعراب قريبا من السليمات وصارت بينه وبين أهل الأحساء وقعة عظيمة وكانت الهزيمة على اهل الأحساء وقتل فيها الأمير ابو منصور والأمير (ابو مذكور) [١٠] وجميع القتلى ثمانون رجلا والأسرى خمسماية وعشرون رجلا وقبل ذلك تمرض الزرع ولم تك لهم غلة ثم صارت هذه الحرب بعد فساد الزرع بسنة فأصابت اهل الأحساء مشقة عظيمة فأمر الأمير ابو المنصور بالخزائن تفتح وتفرق على اهل الأحساء وصار يأمر لكل بيت بما يكفيهم من حنطة وتمر وشعير حتى بلغوا ثمرة القيظ وعند الحصاد امر مناديا ينادى فى الناس بأن حقوقه من ضمان وغيره مطروح عنكم فاستعينوا بذلك ولا زال ينفق عليهم حتى كثرت معائشهم وصلحت ثمارهم) .

هنا لنا تعليق على الرواية وهو ان الأمير الذى عناه الشارح هو الأمير شكر ابن الامير ابى منصور الذى تولى الحكم من بعده وهو المشهور بهذه المكرمات لأن والده أبا منصور قتل فى المعركة والمكرمة اتت بعد المعركة والبيتان المشروحان هما :ـ

(١٠) ابو مذكور بطال بن الامير مالك بن بطال اخو عبدالله بن على العيونى لأمه وكان عظيم القدر فارسا جوادا اشترك فى هذه المعركة وهو ابن ثمانين سنة وحمل على اعدائه وهو يقول (لا خير فى شيخ لا يجهل) فقتل فيها . واورد الشيخ يوسف عن وقعة السليمات ان المقتول فيها « السميط بن ابى منصور » وليس « ابو المنصور » هو الذى قتل فيها ، معتمدا على ما ورد فى قطعة لمخطوط مجهول المؤلف . ونحن اعتمدنا على شرح ديوان ابن المقرب ص٤٥٦ . طبعة الهند سنة ١٣١٠هـ . والتى ذكر فيها ان المقتول فى هذه الوقعة هو « ابو المنصور » .

منـا الذى فض امـوال الخـزائـن فى
غـوث الرعـيـة لا قـرضـا ولا سلمـا
واهمـل الدخـل ذاك العـام وانتعشت
بـه الرعيـة حتى جـازت الفحمـا (*)

لم تـطل مـدة ابى فـراس غـريـر بن الفضل فى الحكم فقد قتله احد اقاربه ويـدعى (هـجـرس بن محمـد) ونحن نعتقد ان هجرس هذا ابن اخ لأبى فراس أى ان نسبـه هـو هجـرس بن محمـد ابو سنان بن الفضل بن عبدالله بن على العيونى والسبب الذى دعاه لقتـل عمه اعتقاده بأنه أولى من عمه بـولاية عهـد والده المقتول ابى سنان ولعل عمه اساء معاملة ابناء اخيه وكانوا شبابا مراهقين فقرر قتل عمه وتولى السلطة بعـده على القطيف والبحرين . وكـان شابـا صغير السن لم يستـطع ضبـط أمـور البـلاد فساءت الحالة واضـطربت الأمور ممـا سهـل عـلى عم ابيـه الأمـير الحسن بن عبـدالله بن على العيـونى ان يجهز عليـه بمساعـدة ابن اخيه الأمـير شكر بن أبى المنصور على بن عبدالله بن على الذى تولى امارة الأحساء بعد قتل ابيه فى معركة السليمات كما ذكرنا سابقا وكانت مدة حكم (هجرس) سنة واحدة بدأت سنـة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م وانتهت فى سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م تقـريبا ونتيجـة لهذه الأحـداث أبعد آل الفضـل بن عبدالله ابن عـلى العيـونى عن الحـكم وتـمت السيـطرة للأمير شكـر عـلى الأحسـاء والأمير الحسن بن عبدالله على القطيف والبحرين .

عهد شكر بن علي بن عبد الله بن علي العيوني

تولى شكر حكم الاحساء بعد مقتـل والده حـوالي عـام ٥٤٥ هـ/ ١١٥٠ م وكانت الاحساء في حالة تدهور اقتصادي ومجاعة بعد حربين في سنتين متتاليتين فوضع شكر عن اهل الاحسـاء المكوس وساعدهم في التغلب عـلى الازمة وكـان (ابو مقدم) وهي كنيته موصوفا بالعلم والورع والفـروسية ولكن البـدو الذين شملتهم الازمـة الاقتصاديـة طمعوا في الاحساء وخاصة بعد الهزيمة التى لحقت بجيش الاحسـاء وقتـل ابي منصـور فتجمع البدو بقيادة رجل يقال له (حماد النائلي او الوائلي) وهاجموا الاحساء في اعـداد كثيرة وحـاصـروهـا شهـرا ثم استـطاعـوا اقتحـام الاسـوار ودخلوا المـدينة وكـادوا يسيطرون عليهـا وقتل منهم خلق كثـير حتى انتنت من دمائهم الارض ولذلك سـمى مـكـان الواقعـة بالخايس .

ويقول ابن مقرب في ذلك :

منـا الذي عـام حـرب النـائـلي جـلا
يـوم السبيـع ويـوم الخـائس الغمـا

ومـات شكـر بعـد منتصف القـرن السادس اي حوالى ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠ م وبعـد وفـاتـه تـولى ابن اخيـه محمـد

---

* الفحما : الشدائد .

على شاطئ سترة :

مزق العيونيون

جيش نام سار وأسروا القائد

بن منصور بن علي الملقب بابي منصور واحيانا بابي ماجد وكان مشهورا بالشجاعة والهيبة ، يقول ابن مقرب :

منا الذي منع الاعداء هيبته
حرب البلاد فما شدوا لهم حزما
ومات يطلب يوما يستلذ به
يطبق الارض نقعا والحضيض دما

ويقول شارح الديوان ان البدو كلما حاولوا غزو الاحساء منعتهم هيبته ، ومات محمد في حوالى عام ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م وتولى بعده اخواه شكر وعبد الله ابني منصور بن علي بن عبد الله العيوني .

عهد الامير ابو علي الحسن بن عبد الله العيوني على القطيف والبحرين

اما القطيف والبحرين فقد سيطر عليهما ابو علي الحسن بن عبد الله بن علي العيوني حوالى عام ٥٤٦ هـ/ ١١٥١ م وكان له من الاولاد ثلاثة : وهم شكر وعلى والزير وفي زمانه هاجم البحرين حاكم جزيرة قيس الذي يسمى ابا كرزاز بن سعد بن قيصر سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م . فقد قام بحملة بحرية نقلها بالسفن الى البحرين بقيادة اخيه نام سار بن سعد بن قيصر ونزلت القوة في جزيرة (سترة)[١١] والتقت بقوات العيونيين بقيادة الحسن وابنه شكر ودارت بين الجمعين معركة ضارية انهزم فيها الجيش المهاجم وأسر قائده نام سار ، ويقول ابن المقرب في هذه الوقعة :

ويوم سترة منا كان صاحبه
لاقت به سامة والحاسك الرغما
الفين غادر منهم مع ثمان مىء
صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

والشاعر يصف لنا بأن قتلى المعركة كانوا الفين وثمانمائة ولم يرجع منهم الى قيس الا القليل اما (نام سار) فقد اخذ

(١١) سترة : جزيرة من جزر البحرين .

الى الحسن بن علي اسيرا فاكرمه واطلق سراحه واعاده الى اخيه في جزيرة قيس .

وكان الامير الحسن بن عبد الله العيوني كريم النفس محبا للخير يقدر الرجال ذكر افعاله ابن مقرب في ميميته ببيتين من الشعر قال :

منا الذي جعل الاقطاع من كرم ارثا توزعه الوراث مقتسما
وجاد في بعض يوم وهو مرتفق باربعين جوادا تعلك اللجما

وقصة هذين البيتين كما اوردها شارح الديوان ، ان قوما من عبد القيس يعرفون (بالرياشمه) خرجوا من الاحساء حين ملكها ابو المنصور محمد بن منصور بن علي بن عبد الله العيوني خوفا منه وعددهم سبعون رجلا باهلهم فقصدوا الامير ابا علي الحسن بن عبد الله في القطيف وقابلوه واجلسهم واطال معهم الحديث وفي اثناء ذلك امر بان تجهز لهم بيوت لسكناهم مزودة بالفرش والادوات والاطعمة واقطعهم بساتين ليعيشوا منها وبقيت في ايديهم يتوارثونها خلفا عن سلف ولم يقوموا من مجلسه الا وامام كل منهم غلام يدله على منزله واملاكه التي وهبت له ، وذكرت الابيات انه جاد بأربعين فرسا على اربعين رجلا في يوم واحد .

ومن هباته ما ذكره شارح ديوان ابن المقرب وذلك ان (ابا منصور سليم بن مفلح العيوني) انتقل من الاحساء وقصد الامير الحسن في القطيف فلما سمع بقدومه تلقاه ماشيا قبل بلوغه القصر واقطعه بلدا تسمى (الظهران) على ساحل البحر ذات نخيل واشجار وثمار كثيرة وزروع ومداخيل من بر وبحر فنزل بقصرها وحرم ان توقد نار بها للضيافة غير ناره حتى مات ، وفي سليم هذا يقول ابن المقرب :

وفي سليم لنا عز ومفتخر ومفلح وهما لله درهما

وفي نفس القصيدة بيت اخر يصفه وهو:

منا الذي لم يدع نارا بساحته تذكي سوى ناره للضيف ان قدما

وفي عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م توفي الامير (الحسن بن عبدالله العيوني) [١٢] وكانت مدة حكمه على القطيف والبحرين ١١ سنة وخلفه ابنه شكر بن الحسن ومدة حكمه اثنتا عشرة سنة وبعد وفاته تولى الحكم من بعده اخوه علي بن الحسن بن عبد الله بن علي العيوني على القطيف والبحرين وفي السنة الثالثة من حكمه قتله اخوه (الزير بن الحسن) في المسجد المسمى (بسبسب) في

---

(١٢) وجاء في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ، وهو يترجم لشاعرين من شعراء القطيف قوله : نزل علي بن الحسن بن اسماعيل العبدى البصرى القطيف سنة ٥٥٤هـ والامير بها قوام الدين ابى المنصور عزيز بن شكر ابن المقلد بن علي بن عبدالله العبدى رحمه الله وانزلني في محله يقال لها (العطش) انظر مجلة العرب ص٣٧٩ اما هذا الامير فلم يرد ذكره في شعر ابن المقرب .

(صدد) من البحرين وتولى الحكم الزير لمدة سنتين وقتل غدرا ٥٧٤ هـ/١١٧٨ م على يد رجل اعجمي فاضطربت احوال القطيف والبحرين بعد قتله . ففي البحرين استولى على الحكم فيها محمد بن ابي الحسين احمد بن ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العيوني وبقي في البحرين سنة ثم خرج منها .

اما القطيف فقد اضطربت الحالة فيها ثم استقرت بعد ان سيطر عليها (حسن بن شكر بن الحسين بن عبد الله العيوني) وضم الى حكمه البحرين بعد خروج محمد بن ابي الحسين منها وقتل الحسن بن شكر عام ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م تقريبا على يد شكر واخيه عبد الله ابني منصور بن علي بن عبد الله بن علي وحكما القطيف والبحرين .

وباستيلاء المذكورين على البحرين والقطيف اصبحت ذرية ابي المنصور على بن عبد الله العيوني يسيطرون على الاحساء والقطيف والبحرين . وفي عام ٥٨٣هـ ١١٨٧ م هاجم القطيف (محمد بن احمد بن محمد بن الفضل) واخرج منها عبد الله بن منصور وذهب الى اخيه شكر في الاحساء . وقد زال حكم شكر واخيه عبد الله عن الاحساء باستيلاء الامير محمد عليها حوالي ٥٨٤ هـ/ ١١٨٩ م وكانت مدة حكم شكر بن منصور على الاحساء سبع سنوات تقريبا .

عهد الامير محمد بن ابي الحسين احمد بن ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العيوني

استولى محمد بن احمد على القطيف عام ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م ثم ضم الى حكمه البحرين والاحساء واعاد لدولة العيونيين هيبتها ووحدتها ، وقد اتصل محمد بالخليفة الناصر لدين الله العباسي وهو الذي ساعده على بلوغ مرامه وكانت له مكانة عند الخليفة وامتد نفوذه على قسم كبير من صحراء جزيرة العرب واصبحت البوادي تهابه وأمنت السبل في زمانه .

وفي حوالى سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢ م تعرض (دهمش بن سند بن اجود) وقبيلته لطريق الحاج الى مكة واغتصبوهم وفرضوا عليهم ما ارادوه فشكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ما وقع لهم فبعث الخليفة الى الامير محمد ابن ابي الحسن رسولا يخبره بما وقع على الحاج من (دهمش) وقومه ويطلب منه معاقبته على فعلته ، فاستنفر الامير محمد جميع قبائل البحرين وزحف حتى وصل العراق فانضم اليه من قبائل العراق بنو المنتفق وعباده وخفاجه وزحف على دهمش وقومه وقد انضم الى دهمش بنو الجراح امراء بني ربيعة وهم سعيد بن فضل ومانع بن جديثه ومسعود بن بريك بن السميط وانضمت اليهم قبائل طي وزبيد والخلط وعرب الشام وتقابل الطرفان ودارت بين الجيشين معركة انتصر فيها جيش الامير محمد

وانهزم دهمش واصحابه واجار الامير محمد جميع خصومه الا دهمش فانه لما ضاق به الامر التجأ الى مشهد الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فضربت خيام الامير محمد قرب المشهد وحاصر المشهد لكي لا يفلت دهمش منه وارسل رسولا للخليفة ليخبره ان دهمش استجار بمشهد الامام علي ويطلب رأي الخليفة فيه فارسل الخليفة رسلا من عنده دخلوا على دهمش في المشهد واصطحبوه معهم للخليفة الناصر فاستتابه فتاب وعفا عنه .

وفي ذلك يقول ابن مقرب :

منا الذي ضربت حمر القباب له
بالمشهدين واعطى الامن وانتقما
لولا عياذ بني الجراح منه به
لصاحبت دهمشا او الحقت درما

ولقد كان شاعرنا علي بن مقرب مواليا لآل الفضل بن عبد الله العيوني وخاصة الامير محمد بن احمد بن ابي سنان بن الفضل فان له فيه اشعارا كثيرة تعد من غرر شعره ومن هذه الاشعار قصيدته التى مطلعها :

رماح الاعادى عن حماك قصار
وفي حدها عما تروم عثار

وقد مدحه بهذه القصيدة سنة ستمائة واثنتين من الهجرة ٦٠٢هـ ١٢٠٥ م ونلمس في هذه القصيدة الخلاف الذي نشب بين بني عامر وبين الامير محمد والقصيدة كلها تهديد ووعيد لهم فلا غرابة ان يستغل اعداء الامير محمد من البيت المالك العيوني خلافه مع بني عامر ويتآمرا معهم على قتله .

اغتيال الأمير محمد بن احمد العيوني

اتفق غرير بن الحسن بن شكر بن الحسن بن عبدالله بن علي العيوني وراشد بن عميره بن غفيله رئيس بني عامر على اغتيال الامير محمد على ان يكون لراشد بن عميره جميع ما كان للامير من الاموال والذخائر ويتولى غرير حكم البلاد . وقد ترصد راشد للامير محمد حتى واتته الفرصة وكان الامير محمد في طريقه بين صفوى والاجام في قلة من رجاله فهجم عليه غرير ابن الحسن وراشد بن عميره وجماعتهما وقتلوه وكان قتله في حوالى عام ٦٠٣ هـ/١٢٠٦ م وبعد قتله تولى السلطة في القطيف والبحرين الامير غرير ابن الحسن وكانت هذه الحادثة بداية النهاية لامارة العيونيين عل اقليم البحرين وعاد الصراع بين أمراء البيت العيوني ليصبح على اشده في الاحساء والقطيف والبحرين وتمزقت وحدة الدولة؛ وقد استطاع الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن منصور بن علي بن عبد الله العيوني ان يستولى على الاحساء بعد قتل الامير محمد بن ابي الحسين ويستقل بحكمها وقد امر بسجن الشاعر علي بن مقرب العيوني ومصادرة امواله متهما اياه بموالاة آل الفضل بن عبد الله العيوني وبعد فترة افرج عنه ولكنه لم يرجع اليه شيئا من املاكه فرحل الشاعر الى البصرة وعاد سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م الى الاحساء وامتدحه بقصيدته التى

مطلعها :

خـذوا عن يمـين المنحنى ايهـا الركب
لنسـأل ذاك الحي مـا صنـع السـرب

وامل ان يرجـع عليه مـاله فلم يفعل فنزح الى العراق ثانية .

عهد الامير الفضـل بن محمد بن ابي الحسين احمد بن محمد بن الفضـل بن عبـد الله بن عـلي العيوني

استـطاع الامير الفضـل بن محمـد واخوته ان يخرجوا من القطيف بعد قتل والدهم الامير محمد واتجـه الفضل الى بغداد لمقابلة الخليفـة الناصر لدين الله العباسي حيث كان الخليفة على صلة طيبة بوالدهم الامير محمد وطلب منه العـون والمساعدة على استرجاع حكمهم والاخذ بثأر والدهم فأمده الخليفة بالمال والجند وعاد الى القطيف وهاجم غرير بن الحسن وتغلب عليه واحتل القطيف حوالى عـام ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م ، فقـد ذكر شـارح ديوان الشاعـر ابن المقرب طبعـة الهند صفحة ٥٠٧ أنه لما كان في طريقـه من بغـداد الى القـطيف سـنـة ٦٠٦هـ/١٢٠٩ م وقد انحدر بالخزانة التى امد بها الخليفة الناصر لدين الله الفضل بن محمد ابي الحسين على حرب القـطيف بلغه خبر قتل ابن عمه مذكور بن عبد الله بن منصور ورثاه بقصيدة مطلعها :

اظنـك خلت الشـوق والنـأي ابكـاني
فـاقبلت نحوى يـابس الدمـع تلحـاني

ومن هـذه الحادثـة اعتمدنـا تاريـخ هجوم الفضل على القطيف .

اما مقدار هذه المساعدة التى امد بها الخليفة الفضل فقد ذكر ذلك ابن المقرب في قصيدته التى نظمها في مدح الفضل سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م ومطلعها :

ابـت لك العـزة القـعسـاء والكـرم
ان تقبـل الضيم او تـرضى بمـا يصم

الى ان يقول :

فـمـا حـبـاه امـير المـؤمـنـين بـه
لمـا اتـتـه بـه الوخـادة الرسـم
مستعصمـا واثقـا بـالنصر منـه وهـل
يـخيـب من بـالامـام البـر يـعتـصـم
اجـابـه حـين نـاداه وقـربـه
اشـم في راحـتـيـه للـنـدى ديـم

وقصيدته الثانية التى مطلعها :

قـسـمـا بـاعـراف الجـيـاد الضـمـر
وبـمـا اثـرن مـن العـجـاج الاكـدر

الى ان يقول :

رضي الخـليـفـة هـديـه واخـتـاره
وحـبـاه بـالحـظ الجـزيـل الاوفـر
وامـده بـخـزائـن لو صـبـحـت
ذات العـمـاد لآذنـت بـتـدعـثـر
فـيهـا المـجـانيـق العـظام يـحـفـهـا
نـفـط تـاجـج نـاره بـتـسـعـر
وقسي اسـد لا يـرد نـصـالـهـا
زبـر الحـديـد ولا صـفـيـح المـزبـر

تمكن الفضل بهجوم كـاسح وبقـوة متفوقة ان يسيطر على القطيف والبحرين ولكنه دفع ثمن ذلك النصر غاليا فيما بعد حيث اننا نستنتج ان الفضل قبل ان يبدأ هجومه اتفق مع امير جزيرة قيس الامير غياث الدين بن الامير تاج الدين جمشيد ان يشتـرك معـه في الحـرب ويهـاجمـا

بجيوشهما القطيف والبحرين ليضمن لنفسه التفوق على خصومه من اهل بيته وارتكب بذلك اكبر غلطة تسببت في انهاء حكم العيونيين وجعلت لحكام قيس وسلطان شيراز عندما سيطر على جزيرة قيس وامراء هرمز فيما بعد ذريعة يتذرعون بها للتدخل في شئون القطيف والبحرين ويتبين ان نصوص الاتفاقية كانت سرية لم يذع خبرها الا بعد النصر . ملخص شروطها ـ ان يكون لامير جزيرة قيس ما يلي :

١ ـ جزيرة أكل [١٣] ومقاسمها وبرها وبحرها وخراجها ، وما يتعلق بها .

٢ ـ جزيرة الجارم [١٤] وما يتعلق بها .

٣ ـ جزيرة الطيور [١٥] وهي (تواره وقتان) .

٤ ـ ادم المدبغة ما خلا مائتي جلد .

٥ ـ ما في ظهر الحورة وظهر سماهيج من مساكر السمك الى زروان .

٦ ـ خمسمائة دينار في كل سنة لملك قيس .

٧ ـ أن يكون الخراج والمقاسم (النخيل) والخاصة والحلقة وطراز الغاصة والطير والطيارات [١٦] والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين .

٨ ـ ان يكون لملك قيس من مقاسم تاروت (الحسيني)و (الحساسي) ومقسم القصر .

٩ ـ من مقاسم القطيف بستان القصير وبستان المشعرى ودالية الدار والدار والفايدية ونصف طراز الغاصة الذين هم ليسوا من اهل القطيف وخمسة وثلاثين بهارا من الخراج لملك قيس زيادة على النصف عوضا عن بستان المصفاة التي في الاحساء .

عقدت هذه الاتفاقية في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م اي في نفس السنة التي هاجم فيها الفضل القطيف والبحرين واحتلهما .

---

(١٣) جزيرة اكل : أكل ـ بضم الألف والكاف ـ يتضح مما ذكر بعدها انها جزيرة كبيرة فيها بساتين كثيرة ولها خراج . وهى المعروفة الآن بجزيرة (النبيه صالح) ولها اسم قديم ايضا تسمى جزيرة (ابن كاوان) . انظر ياقوت . وابن حجر في الاصابةوهو يترجم الى صعصعة بن صوحان ، وانظر مراصد الاطلاع للبغدادى ١/ ٣٣٣ .

(١٤) جزيرة الجارم : لا توجد في وقتنا الحاضر جزيرة الجارم وانما يوجد (فشت) كبير يسمى فشت الجارم يقع شمالى البحرين . والفشت في اصطلاحنا ارض صخرية ينحسر عنها البحر وقت الجزر ويغطيها في المد والمشهور بان في فشت الجارم سابقا جزيرة وهذا النص يؤيد ما تناقله الناس عن وجود هذه الجزيرة .

(١٥) جزيرة الطيور : لا نعرف اى جزيرة يعني الا ان هناك جزيرتان من مجموعة جزر البحرين تسميان في الوقت الحاضر (الربض) تكثر فيهما الطيور .

(١٦) الطير : لعله يعنى الرسوم التى تفرض على الجزر التى تضع الطيور فيها اعشاشها الكثيرة في ذلك الوقت وتصاد فراخها وتباع وكذلك كانت تجارة تصدير مخلفات الطيور على هذه الجزر كاسمدة تصدر للعراق لتسميد الأرض الزراعية هناك وعليها رسوم .

الطيارات : قد يعني بذلك مظلات تقام في اماكن معروفة للبيع والشراء . والمظلة في البحرين تسمى (طيارة) وذلك قبل اختراع الطائرة .

بعد ان عرف الناس نصوص الاتفاقية تركت في نفوسهم لوعة واسى يعبر عنها شاعرنا ابن المقرب في قصيدته التي مطلعها :

تجاف عن العتبا فما الذنب واحد
وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنى الذي انت حزبه
فوا عجبا ان سالمتك الاباعد

ثم يسترسل شاعرنا في عتبه وتذمره فيقول :

اذا بلد ساءتك اخلاق اهله
فدعه فما يغضى على الضيم ماجد
فما هجر ام غذتك لبانها
ولا الخط ان فارقتها لك والد

وبعد ذلك نجده يوجه النقد في الصميم حين يغمز الامير الفضل بقوله :

الا ليت شعري هل اجالس فتية
نماها الى العلياء قيس وخالد
عراعر لم تحلل ديار ابن منذر
فتلقي الى الاعداء منها المقالد

وهو هنا يشير الى يوم (ذى قار) فيتمنى ان يجالس اولئك الفتيان الذين ينميهم الى المجد والعلياء قيس وخالد وهذا هو نسب هانيء بن مسعود بن قيس بن خالد ويصفهم بانهم عراعر اي (سادة) شم الانوف لم ينزلوا منازل المناذرة ملوك الحيرة ويلقون الى اعدائهم مقاليد امورهم وبمعنى اصح انهم لم يطلبوا رغد العيش عن طريق الذل والهوان .

وهكذا امضى (الفضل) عشر سنوات في الحكم يدفع لحكام قيس جزءا كبيرا من دخل القطيف والبحرين مما اضعف الامارة فثار عليه العماير وحاربوه واخرجوه من البلد عام ٦١٦ هـ/١٢١٩ م تقريبا وتولى الامارة بعده ابن عمه (مقدم) بن ماجد بن احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العيوني ويكنى (ابو شكر) وقد مدحه ابن المقرب بقصيدة يقول فيها :

وارغب بمدحك الا عن سليل علا
ينمي الى الغر من آباءك النجب
متوج عبدلي حين تنسبه
لخير جد اذا يدعى وخير أب
بنى المعالي لهم (فضل) وشيدها
(ابو سنان) قريع العجم والعرب
و (احمد) وابنه الملك الذي منعت
ما بين نزوى سراياه الى حلب
و (ماجد) كان نعم المستغاث اذا
دعى الى الحرب داعيها فلم يجب
ومن اولئك اذ يعزى ابوته
فليس يدرك في فضل وفي حسب
ولم يمت من (ابو شكر) خليفته
المخجل البدر والمزرى على السحب
(مقدم) كاسمه في كل مكرمة
فان نبى بك دهر فادعه تجب
تسنم الملك لم تقبل عوارضه
وحل من ذروتيه افضل الرتب

ثم اخذ ينصحه بقوله :

لا تركنن الى من لا وفاء له
الذئب من طبعه ان يقتدر يثب
ولا تكن لذوى الالباب محتقرا
ذو اللب يكسر فرع النبع بالغرب
واحسب لشر العدا من قبل موقعه
فربما جاء امر غير محتسب
وغر على الملك من لعب الرجال به
فالملك ليس بثبات على اللعب

وارفع وضع واعتزم وانفع وضر وصل
واقطع وقم وانتقم واصفح وجد وهب
وابسط يدى (فاضل) في الامر تكف به
ما ناب وارم العدا عن قوسه تصب
ففاضل غير خوار (*) ولا وكل
في الكائنات ولا وان ولا وعب (*)

يتضح لنا من هذه الأبيات ان (مقدم) تولى الملك وهو صغير في السن وكان لشاعرنا فيه آمال كبار لذلك نراه يمتدح سيرته ويوصيه بوصايا صادرة من قلب محب ناصح له ، ولشاعرنا قصيدة اخرى في مدح الامير (مقدم بن ماجد) ومعاتبته يقول فيها :

بلا انني قاسيت فيكم مصائبا
تهد القوى اذ ادرك الثار طالبه
فلولا هواكم ما شقيت ولا غدا
يصك برجلي القيد من لا اشاغبه
ولا اجتاحت الأعداء مالي ولا انبرى
يطاولني من ليس تحصى معائبه
ولا نبحت شخصي كلاب ابن ماجد
علانا ولا بالت على ثعالبه
وكان ابن عمي دنية ومناسبي
اذا نصت الانساب يوما مناسبه

والشاعر هنا يعترف بميوله ومودته التى يكنها لآل الفضل بن عبد الله العيوني ضد ابناء عمهم ويقول لولا مودتي لكم ما سجنني الامير محمد بن ماجد وصادر املاكي .

لم يمهل الغدر هذا الامير الشاب فمرض ومات بعد فترة قصيرة من حكمه ولا نستطيع ان نتجاوز بها السنتين تقريبا . وصدم الشاعر بوفاته لذلك نجده يرثيه بقصيدته التى مطلعها :

عني اليك حوادث الأيام
ما كل يوم يستطاع خصامي
ان كان قد ادمى حسامك مفرقي
ظلما لسوف ترين وقع حسامي
لا يطمعنك في هلاك مقدم
فالقوس قوسي والسهام سهامي
و (مقدم) لا شك طود باذخ
يعلو على الهضبات والآكام
ولقد فقدنا منه اروع (ماجد)
سهل الجناب مؤدب الخدام
كم مقلة ذرفت عليه وكم حشى
لمماته حشيت بنار غرام
يا طيب دولته التى ايامها
شية الزمان وغرة الأيام
ان كان ذاك العرش فل فقد رسي
في اثره علم من الاعلام
هل شد عقد التاج بعد (مقدم)
الا فتى قومي وسلك نظامي
من في الملوك اذا يعد كفاضل
لعطا الرغائب او لضرب الهام
ملك اذا قابلت غرة وجهه
مستجديا قابلت بدر تمام
من معشر بيض الوجوه اعزة
سمح على العلات غير لئام
ان فوخروا جاءوا (بفضل) في الندى
و (بجعفر)و(شبيب) القمقام
و (ابي سنان) وابنه و (محمد)
مدني اليسار ومبعدي الاعدام

ومن هذه الابيات يتبين لنا ان شاعرنا ابن المقرب قد سلم بالامر الواقع ـ كما هو

● خوار : الضعيف . الجبان .
● وعب : الذى يأخذ ولم يترك منه شيئا . لعله (رعب) اى جبان .

في اصطلاحنا الان ـ لانه يمدح شيخا من شيوخ بني عامر وهو (ابو قناع) ويطلب من الامير فاضل بن ماجد طاعته والاسترشاد برأيه ويصف المساعدات التى قدمها ابو قناع للامير وتأييده واخضاع الناس لحكمه فيقول :

واشدد بها بابي قناع انه
نعم المحامي دونها والحامي
واشكر له السعي الذي انقادت به
لك ولد سام كيف شئت وحام
وارض الذي يرضي وقدم امره
واطعه طاعة مقتد لامام
وابو قناع غير نكس ان عرى
خطب شديد الأخذ بالاكظام
ينمي الى الشم الغطارف والذرى
من حارث والسادة الحكام
ولحارث عرفت رياسة عامر
في جاهليتها وفي الاسلام

بينما كان في ايام محمد بن احمد بن ابي سنان الذي اعاد لدولة العيونيين هيبتها يتهدد بني عامر ويوبخهم في قصيدته التى مطلعها :

الا رحلت نعم واقفر نعمان .

يقول فيها :

لقد ضل قوم من عقيل وما اهتدوا
بلى انما فيما تمنوه عميان
فيا آل كعب لا تخونوا عهودكم
فليس براق ذروة المجد خوان
فكم له من نعمة بعد نعمة
عليكم واحسان يواليه احسان

وهكذا نجد ان شاعرنا في جميع اشعاره المتأخرة قد زاد تشاؤمه واصبح لا يظهر له نور من امل وسرعان ما ينطفىء ذلك النور ويخبو ذلك الامل وقد اصبحت دولة العيونيين في اواخر ايامها يقتل الاخ اخاه ويستبيح حرماته في سبيل السلطة .

وبعد وفاة (مقدم) حوالى سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م تولى الامارة اخوه (فاضل) [١٧] ولم تذكر المصادر التى بين ايدينا شيئا عن فاضل الا ان مدة حكمه ثلاث سنوات وفي المرثية التى ذكرناها سابقا مدح ابن المقرب فاضل وذكر مساعده (ابي قناع) له في تولية السلطة بعد اخيه وحثه على طاعته والاسترشاد برأيه وهذا يدلنا ايضا ان فاضل صغير السن فهو اصغر من اخيه مقدم وبذلك تكون نهاية حكم فاضل في حوالى عام ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م .

وقد ذكر ابن المقرب في شعره عدة امراء من العيونيين هم على التوالى :

مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله ابن على العيونى وابناؤه أبو

(١٧) النسخة التى بين ايدينا للمخطوط الموجود في دار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية رقم ٦٣٧ تاريخ . ذكر فيها اسم مقدم محرف الى مقلد واخيه فاضل بن معن وهذا خطا والأصح هو ما رواه شاعرنا المعاصر لهذه الأحداث .

كما ذكر فيها انه بعد فاضل تولى اخوه جعفر شهرا واحدا ثم ان المساعيد حاربوه فاطلعوه من البلد وملك بعده محمد ابن مسعود واخوه حسين وحسن مدة سنتين ونصف وبعد ذلك حاربهم الأمير منصور بن علي واخرجهم من البلد قهرا وملك بعد الأمير منصور وكل هذا خلط لا يعتد به .

منصــور علي بن مــاجد اخــو محمد بن ماجد بن محمد بن منصور ثم مقدم بن غرير بن الحسن ابن شكر وهؤلاء كانت امــارتهم عــلى الاحســاء ولم تمتــد الى القطيف والبحرين . وبما ان بحثنا هــو عن تــاريــخ البحـــرين فلم نتـطرق لهم باسهاب .

والمصادر التى بين ايدينا تمد نهايـة حكم العيــونيــين الى سنـــة ٦٣٦ هـــ/ ١٢٣٨ م ولكنها روايات مضطربة تحتاج الى دراسة وتمحيص وتقول ان آخر من ولي منهم جزر البحرين محمد بن محمد ولم نجد لهذه الفترة اي ذكر في شعر ابن المقرب لان الشاعر توفي في عام ٦٢٩ هـــ/ ١٢٣١ م .

ولابــد لنا قبـل ان ننهى بحثنـــا عن العيونيين ان نقول : اذا كان عبد الله بن عــلى العيوني مـؤسس امارة العيــونيين وباني مجدهم فان شاعـرنا الكبـير ابن المقــرب هو الذي خلد تــاريخهم بشعره ولولاه لما عرفنا عنهم شيئا يذكر ولطواهم التاريخ . رحم الله ابن المقرب .